اللغة أداة فكر واتصال

د ماجدة خلف الله العبيد*

المستخلص

اللغة كانت ومازالت أهم وسيلة اتصال نعبر بها عن أفكارنا ومعارفنا وثقافتنا وحضارتنا ولما كانت المعرفة هي أساس الحضارة فإن اللغة هي وسيلتها في التعبير وكل المجتمعات استخدمت مختلف وسائل الاتصال لإبراز شكلها الحضاري من رسومات ونقوش ومخطوطات ولكن تظل اللغة هي أهمها. لما كان الإعلام الوسيلة الأهم والأكثر فعالية في تربية الجيل حيث يقضي الإنسان ساعات طويلة مستمعا ومشاهدا لما يعرض من برامج تلفزيونية، أو مصغياً إلى ما يقدم من برامج إذاعية، أو قارئاً لما يكتب في الصحف، بذلك أصبح الدور التوجيهي للإعلام أشد تأثيراً من الدور التوجيهي للمؤسسات التعليمية في بعض الأحيان، مما دفع الباحثين إلى القول "إن الإعلام هو المنهج التربوي الأول والمدرسة هي المنهج التربوي الثاني" وإذا كان للإعلام هذا الأثر الكبير في الحياة اللغوية والثقافية وإن اللغة كما هو معروف تكتسب بالسماع والمحاكاة فإن أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية حين تلتزم باللغة العربية السليمة هي أحسن مصدر لتعليم اللغة والارتقاء بها وتطويرها، وفي الوقت ذاته يمكن أن تكون عنصراً من عناصر تأخر اللغة، ونسبة لأهمية اللغة وللدور المهمة التي تلعبها في حياتنا على المستويين العاطفي والوظيفي جاءت هذه الدراسة بعنوان (اللغة أداة فكر واتصال) واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي (الوثائقي) كمنهج كلي؛ وهو الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة. واشتملت الدراسة على ثلاثة مباحث، وخلصت الدراسة إلى بعض النتائج والتوصيات.

* أستاذ مساعد بكلية المعلومات والإعلام والعلوم الإنسانية – جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

Abstract

Human language has always been the most important means of communication used to transmit people's thoughts, knowledge, culture and civilization. Since knowledge is the basis of civilization, language has derived its importance from being its tool of expression. All societies have used different types of communication tools to highlight their forms of civilization- whether drawings, engravings, or manuscripts- but language remains the most important of all forms of communication.

Since the media represents the most effective means of educating the young generation (who spend long hours viewing, reading, or listening to the media), the role of the media in directing the young generation has become greater than that of the educational institutions in some cases. This has prompted some media experts to maintain that the media represents the first educational curriculum while the school represents the second. Therefore, when the media outlets use the correct forms of the Arabic language, they become the best source of the language, and in this way they promote the language. On the other hand, the media can contribute to the decline of the language.

This study, entitled "Language as a Tool of Thought and Communication," is undertaken because of the important role that language plays in our lives at the emotional and functional levels. It uses the descriptive analytical method, which depends on collecting the research data and then comparing, analyzing, and interpreting it to reach acceptable generalizations. The study consists of three parts, it concludes with some results and recommendations.

المقدمة:

اللغة نسق من الإشارات والرموز تشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعدّ أعظم اكتشاف للإنسان على مرّ العصور، فلولاها ما تواصلت العصور ولا تطوّر المجتمع البشري. وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع أوجه الحياة، فاللغة كانت ومازالت أهم وسيلة اتصال نعبر بها عن أفكارنا ومعارفنا وثقافتنا وحضارتنا، ولما كانت المعرفة هي أساس الحضارة فإن اللغة هي وسيلتها في التعبير، فاللغة رداء الفكر ولباسه، يقول نعوم تشومسكي وهو أحد أبرز فلاسفة اللغة المعاصرين - إن دراسة اللغة ترتبط بدراسة الفكر البشري، فاللغة تفرض بشكل أو بآخر على الإنسان طريقة التفكير. إننا نرى العالم وفقاً لمخزوننا الفكري والمعرفي والثقافي فلكل أمة لغة تتحدثها وموروث ثقافي وحضاري، لذا تتعدد الرؤى لهذا العالم الواحد وفقاً لتعدد منظوراتنا. لقد ساعد استخدام اللغة على تطوير المجتمعات البشرية في كافة نواحي الحياة المعيشية والاجتماعية والفكرية، فالفكر شكل من أشكال الاتصال غير المنطوق ثم جاءت اللغة وساعدت على ترجمة كل الأفكار بشكل منطوق. واللغة كائن حي يعيش ويحيى بناطقيه، وحتى تكون اللغة حية وفاعلة لا بد أن تكون سنداً للمفكر والمبدع وقادرة على احتواء منهجه وعلمه، فاللغة تحيا بالاستعمال وليس في بطون الكتب. للغة بعدان، وظيفي وعاطفي، البعد العاطفي للغة هام جداً لارتباطه بالمؤشرات القومية، والثقافية، والدينية، والعديد من العوامل الأخرى، وفي الوقت ذاته فاللغة وظائف حياتية، إذ تنمو وتترعرع بالاستعمال. وإذا أردنا للغة أن تكون حية ونابضة، علينا أن نستخدمها بمستوياتها المختلفة في جميع مناحي حياتنا اليومية⁽¹⁾.

ووسائل الاتصال هي التي تحرك الساكن في بحيرة اللغة، فإما أن ترتقي باللغة ومن ثم تساهم بذلك في الارتقاء بالمستوى الجماهيري ورفع مستوياتهم اللغوية وملكاتهم الفكرية، وإما أن تهوى بهم للدرك الأسفل باختيار الكلمات الهابطة والألفاظ المبتذلة. واللغة في ظل تطور وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات باتت تلعب دوراً محورياً، إذ تؤدّي

الصياغات اللغوية دوراً خطيراً في تشكيل القنوات والمفاهيم، وباتت تؤدّي الدور الأساسي في تحديد صور الأمم والثقافات في أذهان شعوب دول العالم الأخرى. فاللغة هي الأساس في شعور الجماعة بالانتماء إلى بيئة واحدة وإلى عرق واحد وثقافة واحدة، لذا لا بد أن نتمسك باللغة العربية ولا بد أن تسعى وسائل الإعلام لترسيخ اللغة العربية الفصحى لأنها هي المعنية بحفظ اللغة وتطويرها وتطوير الناطقين بها ولا بد أن تمضي وسائل الإعلام بالفصحى في نشر هذه اللغة والتعامل بها لتحقيق شخصية الفرد العربي ومن ثم بروز شخصية الجماعة العربية والا سنكون أذلياً لقوميات ولغات أخرى. أثبتت تجارب الأمم أن هناك علاقة وطيدة بين اللغة والإبداع، وأثبتت الدراسات أن أكثر الدول تسجيلاً لبراءات الاختراع هي الدول التي تدرس العلوم بلغتها.

مشكلة الدراسة:

تبلورت مشكلة الدراسة من خلال ملاحظة الباحثة للتراجع المريع للغة العربية واستخداماتها في مجالات الحياة العلمية والعملية بشكل عام، وفي وسائل الإعلام بشكل خاص، حتى في أكثر البرامج احتفاءً بالثقافة والفكر والأدب، كذلك لاحظت الباحثة استخدام كثير من المصطلحات الأجنبية في البرامج والصحف والإعلانات، هذا التراجع المخيف للغة العربية في وسائل الإعلام يهدّد بتراجع اللغة العربية في كل محافل الفكر والعلم والإبداع، واللغة لا تعني فقط أصوات وأداة للتبليغ، بل هي على مستوى الماضي الذاكرة الجماعية للأمة وعلى مستوى الحاضر هي الحضارة والهوية، وعلى مستوى المستقبل هي الطريق نحو الإبداع والعلم، وتواجه اللغة العربية اليوم هجمة شرسة من قبل أعدائها متهمين إياها بالعجز والتقصير عن مواكبة الحياة المعاصرة، جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهمية اللغة في الفكر والاتصال وكيفية الارتقاء باللغة العربية من خلال وسائل الاتصال، باعتبار أن وسائل الإعلام شريك أصيل في تطوير اللغة أو

القضاء عليها. لذا تسعى الدراسة للإجابة على سؤالين رئيسيين هما، أولاً: ما طبيعة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في المحافظة على اللغة، ثانياً: هل هناك قصور وعجز في اللغة العربية يقعها عن أن تكون لغة العصر والمستقبل؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية اللغة، فاللغة تلعب أدواراً مهمة في حياتنا على المستوى العاطفي فهي تعني ذاكرتنا الجمعية وارتباطتنا القومي والثقافي والديني، وعلى المستوى الوظيفي فنحن نستخدمها في مناحي حياتنا المختلفة. كذلك تتبع أهمية الدراسة من خلال التأكيد على دور اللغة العربية في المحافظة على الهوية القومية وعلى الذات الحضارية التي تسمح للفرد بأن يكون صاحب إرادة حرة تسعى لتحقيق غايات خاصة مرتبطة بالشخصية الفاعلة وبالتالي لا يكون مستلباً أو تابعاً.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أهمية اللغة للمجتمعات، وتأكيد أن اللغة والفكر صنوان، وأن الإبداع لا يتأتي إلا عن طريق اللغة الأم، كذلك تهدف الدراسة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في وسائل الإعلام، عن طريق استخدامها كلغة رسمية في البرامج بدلاً عن استخدام اللهجات العامية وخصوصاً في برامج الأطفال، إن غرس اللغة السليمة في نفوس الناشئة منذ الطفولة يعدّ عاملاً مهماً في المحافظة على اللغة العربية قوية متماسكة وعصية على الانكسار والتذويب اللغوي والثقافي .

منهج الدراسة:

تعدّ هذه الدراسة من الدراسات النظرية، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي (الوثائقي)، وهو يهدف لوصف واقع الظاهرة المراد دراستها بواسطة استنتاج الأدلة والبراهين التي تجيب عن أسئلة البحث المستمدة من الكتب والوثائق. فيعدّ "داين" المنهج الوثائقي على أنه من أنواع المنهج المسحي والذي هو بدوره من أنواع المنهج الوصفي، وهناك رأى آخر يترجمه "هيل وي" والذي يعد من أوائل من كتب عن المنهج الوثائقي

ويعتبره منهجاً قائماً بذاته حيث قال " عندما يريد الباحث أن يدرس وقائع وحالة ماضية أو عندما يريد تفسير وثائق تربوية ذات ارتباط بالحاضر، فلا بد له من منهج يختلف عن المنهج المسحي وعن المنهج التجريبي، وهذا المنهج هو المنهج الوثائقي والذي يعني الجمع المتأن والدقيق للوثائق عن مشكلة البحث، ومن ثم القيام بتحليلها تحليلًا يستطيع الباحث بموجبه استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من نتائج"⁽²⁾. واعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي (الوثائقي) كمنهج كلي؛ وهو الذي يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة.

مصطلحات الدراسة:

مفهوم اللغة: هي تلك الأصوات التي يصدرها جهاز النطق الإنساني وتصل إلى الأذن، فيتم إدراك دلالاتها وإصدار الاستجابة المناسبة لها. كذلك هي أداة الاتصال الرئيسية في المجتمع الإنساني وذلك لأنها الوسيلة الأكثر فاعلية في تمكين الفرد من التفاعل مع الآخرين من خلال العلاقات الاجتماعية المختلفة وهي الأداة الرئيسية في عملية التكامل والتكيف والبيئة⁽³⁾.

أداة: يقصد بها في هذه الدراسة " وسيلة" مثال: لم يكن إلا أداة للوصول إلى هدفهم، اللغة هي أداة التعبير عن الفكر.

فكر: يقصد به اعمال العقل في المعلوم للوصول إلى المجهول، وهو مصطلح يتم استخدامه في الدراسات المتعلقة بالعقل البشري، ويشير إلى قدرة العقل على تصحيح الاستنتاجات بشأن ما هو حقيقي أو واقعي، وبشأن كيفية حل المشكلات⁽⁴⁾.

مفهوم الاتصال: في اللغة الاتصال كلمة مأخوذة من الوصول أي البلوغ: (وصل إليه أي بلغه)، وكلمة الاتصال مشتقة في لفظها الانجليزي من الأصل اللاتيني (Communes) أي (Common) معناها مشترك، فعندما نقوم بعملية الاتصال فنحن نحاول أن نشترك سوياً في معلومات وأفكار أو مواقف واحدة⁽⁵⁾.

المبحث الأول

اللغة أداة تواصل

لقد كانت الكتابة قبل الحروف تتم عن طريق الرموز والنقوش والرسومات وأصبحت النقوش والرسوم اصطلاحية، أي لكل رسم أو نقش معنى محدد ومتعارف عليه وأصبح تصوير الأفكار من الممكن أن يقوم به شخص ويتلقاه شخص آخر، وأصبح من الممكن التغلب على المسافة والزمن، ومع الكتابة التصويرية القياسية الإصطلاحية أصبح من الممكن فك الرسائل التي يبعث بها أناس من مسافات بعيدة أو حتي أناس ماتوا بالفعل.

إن استخدام اللغة والكتابة تعد من أهم ملامح التحولات الإنسانية في عالم الاتصال لأنها أرست أهم قواعد وأسس ومبادئ الاتصال كما ساهما في إنشاء دعائم الحضارة الإنسانية وترتب عليها نتائج كثيرة انعكست على حياة الإنسان الاجتماعية وحتى الذهنية والعقلية وأسلوب التفكير، واختراع الطباعة حوالي عام (1440) على يد الألماني جوتنبرج، كان داعماً كبيراً لاستخدامات الكتابة المختلفة، وتوسعت الكتابة وانتشرت وأصبحت أساساً للتطور الحديث في كل مظاهر الحياة المختلفة.

تعد حروف الكتابة أحد أهم منجزات الجنس البشري في كل العصور إلى جانب اختراع الأدوات واكتشاف النار واللغة نفسها، ولولا حروف الكتابة لظلت الغالبية العظمى من سكان العالم تعاني الأمية⁽⁶⁾.

كذلك اللغة تعتبر الأداة الأكثر فاعلية للتعامل مع الآخرين والأكثر قدرة لخلق التفاهم مع بعضنا البعض، وتبادل المعلومات والخبرات، والأكثر مرونة في اكتسابنا للمعرفة والثقافة والوسيلة الأهم لتوصيل رسالتنا " اللغة ما هي إلا نسق من الإشارات موجودة في أي مجتمع ومن أجل هذا المجتمع فهي من أهم وسائل الاتصال، اللغة تتطوّر وتكتب والكلمة المجهورة، تسبق المدونة لأن الناس تكلموا قبل أن يكتبوا"⁽⁷⁾.

وأعظم ما شهد به الفيلسوف والعالم توماس هوبز عام 1651 أن اختراع الطباعة رغم أنه أمر في منتهى الإبداع، إلا أنه ليس عظيم الأهمية إذا ما قارناه باختراع الحروف

الهجائية، لكن الكتابة تعتبر اختراعاً مفيداً لاستمرار ذاكرة الزمن الماضي، لكن أكثر الاختراعات نبلاً وفائدة هو القدرة على الكلام والتخاطب ونطق الأسماء والربط بينها، وبالنطق والكلام استطاع الرجال تسجيل أفكارهم واستعادتها بعد أن تصبح في الماضي، وأن يعلنوها الواحدة بعد الأخرى للفائدة المتبادلة وللتحدث معاً والحوار⁽⁸⁾.

لقد ساعد استخدام اللغة على تطوير المجتمعات البشرية في كافة نواحي الحياة المعيشية والاجتماعية والفكرية، فالفكر شكل من أشكال الاتصال غير المنطوق ثم جاءت اللغة وساعدت على ترجمة كل الأفكار بشكل منطوق.

وليست اللغة اختراعاً فردياً أو كشافاً لمجهول لم يكن معروفاً من قبل، وإنما وليدة القدرة التي أودعها الله في الإنسان وميّزه بها على سائر خلقه، وهي القدرة على اخراج الأصوات والتمييز بينها، وهي ما نسميه بالنطق، حتى قيل إن الإنسان حيوان ناطق ميّزه الله بالنطق على كافة مخلوقاته⁽⁹⁾. واللغة وحدها هي التي تستطيع أن تعبر عن مابداخلنا وعن مكنونات النفس البشرية من فرح أو حزن أو مشاعر غضب أو سخط أو حتي فكاهاة أو سخرية، فهي التي تستطيع أن تحيل أفكارنا إلى معاني ملموسة نتفاهم بها مع الآخرين. وليست القدرة على النطق وحدها التي أبدعت اللغة وإنما القدرة على إدراك المدلولات التي تعنيها كل كلمة من كلمات اللغة وهذه القدرة على إدراك المدلولات ليست تصوراً فردياً وإنما هي تصور جماعي لكلمة تعبر عن واقع قائم ملموس وهو أول مراحلها، ينتقل بعدها التصور لما يصوره الخاطر من فكر هو أقرب إلى التجريد منه إلى الواقع المحسوس⁽¹⁰⁾. واللغة هي الوسيلة التي تستخدم ليشترك فيها الناس بعضهم البعض لفهم وإدراك المعاني التي هي في الأصل ترجمة لما يدور في عقولنا من تفكير. وعليه فإن اللغة هي الوسيلة الأمثل للتعبير عن أفكارنا.

دور اللغة في توصيل المعاني:

المفاهيم هي مجموعة من الصفات ذات المعنى لبعض نواحي الواقع التي يمكن التعرف عليها عن طريق اسم أو رمز ويعتبر جزءاً من اللغة، المفاهيم إذن هي أساس المعرفة

ونقطة البداية لنظرية الاتصال، ويبدو واضحاً أن أهمية الاتفاق على المعاني لمعرفة العالم الذي نعيش فيه كما يقول افلاطون لايعتمد فقط على مانلمسه بحواسنا، وإنما اتفقنا عليه مع زملائنا حول المعاني المشتركة عن العالم الخارجي حولنا. ويشير الباحثون في العصر الحديث إلى هذه الفكرة على أنها التركيب الاجتماعي للحقيقة ولكن من الأفضل أن نسميها الاتفاق الجماعي على المعاني⁽¹¹⁾. لكي يصبح الاتصال ممكناً لابد أن تكون هناك معانٍ متفق عليها لمسميات متفق عليها أيضاً، ولا يختصر فقط على الكلمات وإنما أيضاً على الإيماءات والرموز والإشارات، فتلويح رجل المرور بيده في كل حركاته لابد أن تكون مفهومة لكل سائق سيارة، ولبس البذة العسكرية توضح رتبة رجل الشرطة من خلال ما يحمله على كتفه من علامات تكون معروفة، وهكذا مجموعة من الأشياء التي نستخدمها وتكون لها نفس خاصية اللغة في توصيل المعاني، وهي ما تقوم بدراسته السيميائية، تلك التي تهتم بالعلامات خارج منظور الحرف، فأطلق عليها علم العلامات، بمعنى آخر لابد أن نصل إلى معانٍ ذاتية لمختلف نواحي الواقع الموضوعي ونتفق على هذه المعاني والا لن نستطيع الاتصال مع بعضنا البعض كما نفعل الآن.

إن أول أهداف الاتصال اللغوي هو نقل المعني. والسياق هو الذي يعين قيمة الكلمة إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدّد معناها تحديداً مؤقتاً. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة وتتراكم عليها، وهو الذي يخلف قيمة حضورية⁽¹²⁾.

وبرزت أهميتها كوسيلة لنقل المعرفة والحضارة وكوسيلة لبناء مهارات التواصل الإنساني، كما لها الدور الرائد في فهم واستيعاب الرسائل الطويلة والمعقدة بشكل بسيط وسلس كان يصعب مع أشكال الاتصال السابقة بدون استخدام اللغة.

فاللغة كانت ومازالت أهم وسيلة اتصال نعبر بها عن أفكارنا ومعارفنا وثقافتنا وحضارتنا، ولما كانت المعرفة هي أساس الحضارة فإن اللغة هي وسيلتها في التعبير، فاللغة رداء

الفكر ولباسه، وكلّ تطوّر يحصل في المجتمع يتردّد صداه من خلال مؤسسة اللغة، وكلّ المجتمعات استخدمت مختلف وسائل الاتصال لإبراز شكلها الحضاري من رسومات ونقوش ومخطوطات ولكن تظل اللغة هي أهمها. وتعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لكل ماتخضع له الظواهر الاجتماعية من نمو وتطور ودراسة، فلكل مجتمع لغته المعبره عن ضميره وحاجاته وواقعه فتمايزت اللغات كما تمايزت المجتمعات.

ليست اللغة المنطوقة أو اللسانية هي وحدها أداة التعبير فهناك لغات غير كلامية كالإشارات والصور المطبوعة وغيرها ولكن تظل اللغة المنطوقة هي وسيلتنا الأساسية لنقل المعلومات في المجتمعات الإنسانية وهي الصلة بين الفكر والمعرفة. إن الناس لا يعيشون فقط في نطاق عالم الأشياء الذي يحيط بهم وفي نطاق الحضارة والحياة الاجتماعية، بل يعيشون أيضاً في نطاق عالم اللغة الأم. إننا نبني حضارة عصرنا وفق عالم " اللغة " وكل لغة تتضمن بالإضافة إلى مفرداتها وجهات نظر وأحكاماً مسبقة ضدّ وجهات نظر أخرى إذ تخضع اللغات لأطوار من التغيير، منها تغييرات تطرأ على العالم الذي يحيط بمتكلمي اللغة، ولكي نكون أكثر دقة وتحديداً فإنّ العالم يبقى كما هو من الناحية الفيزيائية، ولكنه يصبح عالماً مغايراً في الوعي البشري⁽¹³⁾.

إننا نرى العالم وفقاً لمخزوننا الفكري والمعرفي والثقافي فلكل أمة لغة تتحدثها وموروث ثقافي وحضاري، لذا تتعدّد الرؤى لهذا العالم الواحد وفقاً لمنظورنا المتعدّد وربما المتباين في بعض الأحيان. ولا توجد لغة عامّة موحّدة يتكلّمها الناس أجمعين لأنّ الجماعات الإنسانية مبعثرة متميزة في شتى أنحاء المعمورة فإذا أُتيحت للغة من اللغات أن تمتد وتنتشر فذلك لأنّ الجماعات التي تتكلمها قد أصبحت لها من الغلبة والقدرة والتفوق الحضاري ما يجعل سلطانها غالباً على غيرها⁽¹⁴⁾. ويرجع انتشار عدد من اللغات واللهجات إلى أسباب تاريخية وعرقية واجتماعية عديدة، ولكن قيام دول جديدة على مرّ الزمن، مقترباً بضغط الهيمنة والسيطرة الاستعمارية على أجزاء كبيرة من العالم أدّى إلى

تعديلات لغوية في كثير من الأحيان، الأمر الذي أدى بدوره إلى اختفاء تدريجي لبعض اللهجات والألسن المحلية⁽¹⁵⁾.

إنّ الحضارة لا تنعكس في شئ مثلما تنعكس في الكلام واللغة، حيث يذهب بعض الكتاب إلى أنّ أى نقص أو قصور في لغة مجتمع من المجتمعات هو دليل قاطع على تخلف ذلك المجتمع عن ركب الحضارة. والخبرة الإنسانية المتراكمة على مدى الزمن تعبر عنها بأى شكل سواء كان هذا التعبير كلاماً أو رسوماً أو نقوشاً كالتي تركها الإنسان المبكر على جدران الكهوف أو حتى من خلال إنجازات فنية مختلفة معمارية أو حركية كالرقص والتمثيل الصامت، فاللغة حتى في معناها الضيق الدقيق الذي يقتصر على الكلام والكتابة عنصر أساسي في حياة البشر وبدونها يتعثر قيام الحياة الاجتماعية المتماسكة وبالتالي يستحيل قيام الحضارة بكل ماتعنيه هذه الكلمة من نظم اجتماعية وأنماط ثقافية وقيم اجتماعية وأخلاقية؛ وكلّ ما هو قائم اليوم من اختراعات واكتشافات، ذلك لأنّ اللغة هي أداة التفاهم والإعلام واللذين هما أساس التعاون بين أفراد الجماعة⁽¹⁶⁾. وذبوع لغة أمة دليل على تفوقها الحضارى والفكري، ولقد كان الفضل لتقدم دول أوروبا يرجع في ذلك إلى الصحوة العلمية في الترجمة التي عاشتها القرون الوسطى وكانت فيها ترجمات الفلاسفة العرب ابن سينا وابن خلدون والفارابي وابن هيثم وغيرهم من فلاسفة العرب وعلمائهم المرجع الوحيد للعلوم الطبيعية والعلمية والاجتماعية، أي أنّ اللغة العربية لعبت دوراً مهماً في حركات الترجمة والنقل لدى الأوروبيين في ذلك العصر وهذا دليل على أنها كانت قادرة على التعبير عن متطلبات ونقل كلّ الحضارات القديمة فكان للعرب مجد وحضارة، وهذا يدلّ على أنه لا يوجد عجز في لغتهم يمنعهم من اللحاق بركب الحضارة، وعندما بزغ فجر اللغة الفرنسية في القرن التاسع عشر كانت فرنسا تتربع عرش الفكر العالمي من فن وثقافة وأدب فأصبحت اللغة الفرنسية هي أهم لغة لمن يريد أن يلحق بركب الحضارة⁽¹⁷⁾.

كما أُنّ الاستعمار لعدد قليل من اللغات الأوروبية فرص الانتشار في الكرة الأرضية ومازالت اتجاهات تذويب وابتلاع الثقافات الصغيرة والضعيفة مستمرة حتى اليوم⁽¹⁸⁾. أما بعد الاكتساح الأمريكي لعالم الاقتصاد وتزعم أمريكا لثورة المعلومات واحتكارها لأكبر الأسواق التجارية وتفردا بقيادة العالم سياسياً واقتصادياً، إحتلت اللغة الانجليزية المكانة الأولى وأصبحت هي وحدها التي تستطيع أن تصلك بعالم التكنولوجيا والاتصالات الحديثة.

إنّ الفهم الجيد لطبيعة ودور اللغة في نقل الإرث الثقافي والمعرفي للآخرين يلعب دوراً مهماً في تفعيل عملية الاتصال، ويحدث الأثر المراد تحقيقه من العملية الاتصالية. ويعتبر توماس هوبز وجون لوك من المفكرين والفلاسفة الذين كان لديهم اهتمام عميق بطبيعة اللغة. ويرى هوبز في بحثه عن الكلام " أننا ننمّي قدرتنا على التفكير والتذكّر من خلال الكلمات واللغة وأنّ الاستخدام العام للكلام أو الحديث هدفه أن ننقل مايجرى في أذهاننا إلى شكل منطوق، أي تحويل أفكارنا إلى كلمات. ونقل لوك هذه المبادئ خطوة أخرى إلى الأمام وجعل اللغة هي أساس النظام الاجتماعي"⁽¹⁹⁾.

المبحث الثاني

أزمة اللغة العربية في وسائل الاتصال

إنّ تعدّد اللغات والتي تعدّ كل واحدة منها تجسيدا لتقاليد عريقة في القدم، يمثل تعبيراً عن الثراء والتنوع الحضاري في العالم، واختفاء لغة من اللغات يعتبر دائماً خسارة، كما أن المحافظة عليها يعد نتيجة للنضال من أجل حق من حقوق الإنسانية الأساسية⁽²⁰⁾. وإذا كانت الوسيلة هي الرسالة كما يقول عالم الاتصال " مارشال ماكلوهان" فإننا نقول بتحديد أكثر إن " اللغة" هي الوسيلة وهذا يعني أنّ النتائج الفردية والاجتماعية لأية وسيلة من وسائل الإعلام تتوقف على تغيير المقياس اللغوي الذي

تحدثه كلّ تكنولوجيا جديدة ومن أجل ذلك يذهب ما كلوهان إلى أن " مضمون " أي وسيلة دائماً يعدّ وسيلة أخرى⁽²¹⁾.

ولا يشكل التخوف من تقنية جديدة تخوفاً من الوسيلة في حد ذاتها ولكن ماتحملة هذه الوسيلة من مضمون يراد به إحداث تغيير ذهني سلوكي معين أو حتى غزو لغوي يراد به فرض لغة معينة وفرض هيمنتها على بقية اللغات. واللغة هي ترجمة للفكر، وتطور اللغة معناه التطور الفكري لذا كان الارتباط السببي بينهما واجب فأهمية اللغة تكمن في كونها الأداة أو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن أفكارنا. والفكر أساس المعرفة والحضارة، ومن هنا نبعت أهمية اللغة كوسيلة اتصال وهي أيضاً وسيلة فاعلة في نقل الرسالة التي يريد المرسل بثها وهي مؤشر خطير ومهم ودال على أهمية هذه الأمة أو تلك الحضارة⁽²²⁾.

الغزو الثقافي والفكري الذي تتعرض له كلّ القوميات ومن بينها الأمة العربية فهو قبل أن يكون غزواً تكنولوجياً عبر الوسائل المتطورة والحديثة تكنولوجياً، فهو غزو لغوي، فكل التدفق المعلوماتي الهائل في ظل ثورة المعلومات والحاسبات الآلية تسيطر على غالبية العظمى اللغة الإنجليزية إذ تمثل القدر المعلى مقارنة مع اللغات الأخرى. ونحن كباحثين أو نقاد أو حتى محللين لكلّ الظواهر الاجتماعية الجديدة على المجتمعات فقبل أن نأخذ موقفاً إيجابياً أو سلبياً من هذه الظاهرة أو تلك أو حتى من هذه الوسيلة أو تلك، لابد أن نذهب إلى المضمون أولاً، واللغة المستخدمة لإيصال هذا المضمون، فإنك عندما تنتشر لغة معينة فهذا معناه أنك ملكت عقولاً تفكر بهذه اللغة، وأخطر ما في اللغة هو السيطرة على الفكر.

وكان ذلك مبدأ استعماريّاً ففي السابق كانت سياسة المستعمر " إذا أردت أن تغزو دولة فاجعل شعبها يتكلم لغتك، فإذا أتقن شعبها استخدام لغتك فيعنى هذا أنك حكمته " ويدلّل على ذلك النقاش الذي دار بين الجنرال " ديجول " وبعض الساسة الفرنسيين حول كيفية الحفاظ على الجزائر المستقلة داخل التأثير الفرنسي، قال له البعض: يتم ذلك بالإبقاء

على قواعد عسكرية، وقال له البعض الآخر: يتم ذلك بإبقاء الاقتصاد الجزائري مستقبلاً مرتبطاً بالاقتصاد الفرنسي، لكن الجنرال " ديجول " أجابهم: لا هذا ولا ذاك فقط حافظوا على وضع اللغة الفرنسية تحافظون على الجزائر مستقلة داخل النفوذ الفرنسي⁽²³⁾. وهذا يعنى أنّ البعد الثقافي والفكرى لم يكن غائباً على المستعمر السياسي وأن هيمنة اللغة تعني السيطرة الكاملة على هذا الشعب، ولعل خير توصيف لأهمية اللغة ما قاله في حقها شاعر صقلية " اجنازيو بوتيتا": إنّ الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرّد من بيوتها، ويظلّون مع ذلك أغنياء، فالشعب يفتقر ويستعبد ما أن يُسلَب اللسان الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد، فأيّ أمة لا تستطيع البقاء دون لسان يعبر عن ذاتها⁽²⁴⁾.

ونحن الآن لسنا في عصر الاستعمار السياسي ولا الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، ولكننا لم نفلت بعد من طائلة الغزو الفكرى واللغوي عبر الفضاءات الإفسيرية والسموات المفتوحة بالمعنى الحقيقي للكلمة وليس المجازي. فاللغة هي الأداة المثلى لغزو آفاق العالم الفسيحة الرحبة لتحقيق السيطرة الكاملة على الفكر والثقافات، وفرض ثقافة واحدة وحضارة واحدة ولغة واحدة، وبذا تكون السيطرة لأمة واحدة وحضارة واحدة ولغة واحدة، والتبعية تكون من نصيب الدول والأمم التي لم تستطيع أن تفرض لغتها وثقافتها وحضارتها، ليس فقط أن تفرض بل أن تحافظ على لغتها وهويتها. إن التطور المذهل في ميادين الإعلام يمثل امتداداً للانتصارات التي حققتها اللغة في سبيل تحقيق اتصال جماهيري على امتداد واسع، وأصبحت اللغة في ظل وسائل الاتصال الحديثة ذات قوة وسلطان لما لها من تأثير على تفكير الأفراد والجماعات وعلى شعورهم وسلوكهم وإراداتهم. ويجب على الدول العربية أن تستفيد من التقدم التكنولوجي في مجال الاتصال ومن ثورة الأقمار الصناعية وقنوات البث المباشر وشبكة المعلومات الدولية الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، لنشر الثقافة والترويج لثقافة الإبداع وهذا بالضرورة

يفرض الارتقاء بمستوى اللغة العربية والتي كانت في يوم من الأيام هي لغة الترجمة التي نقلت الفلسفة اليونانية للغرب بترجمة عربية للفلسفة والفكر الإغريقي.

وتتسم اللغة العربية بسمات إعلامية في مقدماتها أنها لغة مفهومة لدى العامة، حيث لم تحل اللهجات الشعبية دون فهم ما يسمعون من نصوص الفصحى المبسطة. وهي لغة عالمية حيث اتخذتها شعوب متعددة منذ أن استقرت الدول العربية في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث من الهجرة فأخذت بالطابع العربي ديناً ولغة وثقافة وحضارة ويذهب الدكتور أنيس إلى (أن خصائص العربية قد جعلتها أوسع اللغات انتشاراً في العالم وبعدها المحدثون من اللغويين ثلاثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها وسعة مناطقها)⁽²⁵⁾.

إن اللغة العربية من أغنى اللغات الكبرى تراثاً وأطولها عمراً وأبقاها على الزمن اتصالاً وقد وسعت ما وصل إليها من معارف الأقدمين في الماضي على حدّ تعبير المرحوم "ساطع الحصرى" وهي التي ثبتت قدرتها على الاتساع لثمار الفكر الإنساني الحديث بل أنها تشارك بانتاجها في تنمية الثروة الأدبية والعقلية للعالم المعاصر⁽²⁶⁾. فاللغة هي الأساس في شعور الجماعة بالانتماء إلى بيئة واحدة وإلى عرق واحد وثقافة واحدة، لذا لا بد أن نتمسك باللغة العربية ولا بد أن تسعى وسائل الإعلام لترسيخ اللغة العربية الفصحى لأنها هي المعنية بحفظ اللغة وتطويرها وتطوير الناطقين بها ولا بد أن تمضي وسائل الإعلام بالفصحى في نشر هذه اللغة والتعامل بها لتحقيق شخصية الفرد العربي ومن ثم بروز شخصية الجماعة العربية وإلا سنكون أديالاً لقوميات ولغات أخرى. وتكمن خطورة اللغة وأهميتها في أنها يمكن بسهولة أن تدعم سيطرة الصفوة السائدة، وأن تدفع عناصر الأقلية إلى موقف الخضوع، إن اللغة هي الناقل الأساسي للحضارة ومن هنا فإننا إذا قللنا من المكانة الحضارية للغة فإننا نفقد وراثتها هويتهم، وإذا سمحنا للغة أن تتلاشى فإن النتيجة هي خسارة ثقافية لا يمكن تعويضها⁽²⁷⁾. ومع تنامي وسائل الاتصال وسعة انتشارها، وأنها أصبحت أجهزة معلوماتية يقبل الجمهور عليها لاكتساب معلوماتهم، ازداد الخوف والتوجس من مغبة هذه الوسائل - بما تملكه من نفوذ جماهيري - إلى

معاول تتسف اللغة، وتفسد اللسان، وتهوى بالذوق اللغوي إلى الحضيض⁽²⁸⁾، فعلى سبيل المثال الناظر في الصحف يجد على صفحاتها دعايات إعلانية قد كتبت باللغة العامية المبتذلة، وهذا النوع من الإعلانات نراه منتشرًا في كل مكان في الصحف في الإذاعة والتلفاز، وهؤلاء لا هم لهم سوى الكسب المادّي، وغير معنيين باللغة ولا جمالياتها ولا تأثيراتها، ودون أن يدركون هم يساهمون في إفساد الذوق العام، وفي حديثه عن وظيفة التلفزيون في المجتمع، يحذر الباحث "رينيه شنكر" من مغبة انحراف التلفزيون عن دوره وإسهامه في فساد الذوق اللغوي حيث يقول: على التلفزيون أن يأخذ بعين الاعتبار أنه وسيلة ترفيه، بالإضافة إلى غايات أخرى، أنه في هذا المجال وفي المجالات الأخرى يخترع لغة محادثة غير طبيعية، تؤثر حتماً في سلامة اللغة الكلاسيكية التي نتعلمها في المدارس⁽²⁹⁾. ووسائل الاتصال هي التي تحرّك الساكن في بحيرة اللغة، فإما أن ترتقي باللغة ومن ثم تساهم بذلك في الارتقاء بالمستوى الجماهيري ورفع مستوياتهم اللغوية وملكاتهم الفكرية، وإما أن تهوى بهم للدرك الأسفل باختيار الكلمات الهابطة والألفاظ المبتذلة، ففي غياب فضاءات التنقيف والترفيه يظل التلفزيون في الغالب هو الملاذ الأكثر إقبالاً في أوقات الفراغ بالنسبة للجمهور، اللغة في التلفزيون تتعرض يومياً لموجات من التشويه والتحريف، والواقع أنّ لغة التلفزيون في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكوّن فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه⁽³⁰⁾. واللغة العربية تتمتع بميزات تجعلها جديرة بأن تكون لغة إعلام بامتياز فهي مازالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف وأدب وخيال مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة، ويرى دكتور عبدالعزيز شرف أن اللغة العربية لغة إعلامية تقوم على نسق الفن الإعلامي الحديث مؤكداً على الصفات التي ينبغي أن تتحلّى بها لغة الإعلام ومنها البساطة والمرونة، ولا يطلب من رجل الإعلام المبالغة في التقعر والتفاحص، وإنما أقصى ما يُطلب منه هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، ممّا يضيف على أسلوبه جاذبية وجمالاً. وقد أشارت إحدى الدراسات التي

حاولت رصد بعض البرامج التي تبثها بعض الإذاعات والتلفزيونات العربية في تلبية احتياجات الأطفال إلى أن: اللهجة العامية هي الغالبة على البرامج الموجهة للطفل، يليها استخدام لهجة تجمع بين الفصحى والعامية، مما يشير إلى أن برامج الأطفال لا تسهم بدورها المفروض في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال⁽³¹⁾. وفي دراسة أجريت على عينة من الشباب الجامعي حول دور الفضائيات العربية في نشر الثقافة العربية، ذكر نسبة (45%) من المبحوثين أن القنوات الفضائية العربية أدت إلى تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجة، ومسلسل الأخطاء الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج، إضافة إلى ضعف مستوى مقدميها⁽³²⁾.

المبحث الثالث

اللغة العربية واتهامها بالقصور

وهناك من حاول الوقوف في وجه اللغة العربية واتهمها بالقصور وحاول النيل منها بادعائهم بصعوبة تعلّمها واتقانها وتعقيد نحوها وصرفها وتعذر الالمام بها وتشابك قواعدها الإملائية وهناك من ادّعى أنها لا تتماشى ومقتضيات العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة لذا لا بد من استبدال الحروف العربية بالحرف اللاتيني⁽³³⁾. وهناك من ينعتها بأنها لغة الأبواب الموصدة بخلاف اللغات الأخرى التي يرونها لغات المستقبل والأبواب المشرعة، تؤكد الكاتبة المغربية " إكرام عبده " أن العيب ليس في اللغة العربية حاملة العلوم والآداب والفكر طوال تسعة قرون والتي كان يمتلكها " ابن رشد " واخترق بها الآفاق، بل العيب في أهلها الذين لم يكونوا حضناً رعوماً لها يراعونها ويطوّرونها⁽³⁴⁾. ومن يدّعي أنّ الفصحى لا تلبي الحاجة أو أنها صعبة فحسب القائل بهذا الرأي أن يقرأ عن لغة الصين واليابان ليرى صعوبة كلّ من هاتين اللغتين ويرى مع ذلك تمسك كلّ من الشعبين الواعيين بلغتهم... يقولون إنّ القارئ العادي يحتاج لكي يتمكن من قراءة جريدة باللغة اليابانية إلى معرفة ألف وثمانمائة وخمسين حرفاً وأنّ هذا العدد ليزداد كلما ازدادت ثقافة الإنسان واتسعت معرفته، ومع ذلك فقد أصرت اليابان على لغتها وأشكال حروفها

بل صور حروفها لأنها كما قالت لجانبهم التربوية تراث الأجداد والثقافة اليابانية هو عنوان الشخصية اليابانية⁽³⁵⁾.

إن دولاً ومجتمعات كثيرة تخشي على لغتها من الضياع والاندثار وتبذل جهوداً واسعة ومختلفة الأشكال من أجل الحفاظ على لغتها وتخصّص من أجل ذلك أموالاً طائلة للمحافظة على لغتها نقية بدون أي مدخلات تفقدها هويتها الحضارية، وخير مثال على ذلك الاتحاد الأوروبي الذي يسعى حالياً إلى ترسيخ هوية أوروبية جديدة سياسياً واقتصادياً ونقدياً يرفض بشدة العولمة الثقافية التي تريد الولايات المتحدة فرضها على العالم أجمع، ولعل أبرز تجليات هذه العولمة الثقافية ذوبان اللغات الأخرى لصالح لغة واحدة هي اللغة "الإنجليزية"، ولعل من أشد الدول والشعوب رفضاً للعولمة الثقافية وتمسكاً بالخصوصية الثقافية هي فرنسا التي تتمسك بموقف متشدد في هذا الصدد، واتخذت إجراءات قانونية صارمة سواء داخل فرنسا أو خارجها للمحافظة على لغتها الفرنسية، لقد سنّت فرنسا قانوناً يحظر استخدام اللغة الانجليزية في وسائل الإعلام الفرنسية وفي التجارة وفي المحلات التجارية... الخ، وكذلك خارج فرنسا في محافل الأمم المتحدة والمنظمات الدولية حيث ترفض رفضاً باتاً قبول أي قرارات أو وثائق أو مستندات باللغة الإنجليزية وتصرّ على أن تقوم الأمم المتحدة والمنظمات الدولية بترجمة ذلك إلى اللغة الفرنسية⁽³⁶⁾.

لذا لا بد من العناية بتوطئة اللغة العربية والاهتمام بها وتطويرها والتمسك بها وهي عنوان الهوية والثقافة والتراث والحضارة العربية، ولا بد من الوقوف في وجه كلّ الدعوات المقرضة للنيل منها والتشكيك في قدرتها وصلاحياتها والتمسك بها بأنها ستكون لغتنا عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقرؤة، وكلّ الوسائط الاتصالية الحديثة وعبر شبكة المعلومات الدولية الانترنت، ويجب عدم التضحية باللغة والاستسلام للاستلاب التكنولوجي في محاولة طمس الهوية والتزييل بحجة أن اللغة لن تمكّننا من التعامل مع العصر التكنولوجي إلا عبر حروف لاتينية وتغييب الحروف العربية للأبد. ولو لم تكن

اللغة العربية في مرحلة نضج تام لما استطاعت أن تحمل المعجزة القرآنية التي لا قرين للقرآن في عظمة بيانه وبلاغته ولا مثيل له في عمق معانيه وقوة حجته ودقة ألفاظه وجمال صوره.

يقول عز وجل " قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا "(37).

ويقول مصطفى صادق الرافعي في هذا المضمار " إن موسيقى الكلمة العربية باطنية قوية بلا تصنع. قوامها التوافق بين خصائص أحرفها وبين مانتل عليه من المعانى إحياء أو إيماءً فما أن تنتشد الكلمة في الشعر العربي الأصيل أو ترتل في القرآن الكريم حتى تجد أن خصائص الحروف ومعانيها هي التي تتحكم بموسيقاها طواعية وهي ذوق أدبي رفيع بلا قسر ولا تصنع"(38). والجهل باللغة العربية يعنى جهلاً بالتراث و جهلاً لما خلفه الأسلاف في ميادين المعرفة، والإنسان عدو ما يجهل، وهكذا سيكون البعد والبون الشاسع بين الأجيال القادمة واللغة العربية إن استمرأنا التجاهل، واللغة ليست قوالب لفظية فارغة من المعنى والمحتوى، وإنما هي وعاء لكل أفكارنا وما يدور في النفس الإنسانية، وبالبعد عن اللغة العربية وهجرها سيشكل ذلك تنازلاً ضمناً عن ملامح الشخصية العربية والهوية والانتماء العربي، وهذا يفسح الطريق أمام كل القيم والممارسات الغربية على المجتمع بالسيطره عليه والتحكم فيه ولابد من الحذر والتوعية من مغبة التقريط في اللغة التي هي رمز التماسك والحضارة.

وتفنيداً للدعاوي التي تتهم اللغة العربية بالقصور والعجز عن اللحاق بالركب التكنولوجي الحديث والدعوة إلى إحلال الحروف اللاتينية بدلا عن الأحرف العربية. يقول دكتور جابر قميحة أنّ هذه الدعاوى هي دعاوى غير مدروسة وهدفها القضاء على العربية لا نشرها، ويضيف أن طبيعة اللغة العربية معنويةً وبنويةً وقاعديةً لا تتفق مع طبيعة هذه الدعاوى، وذلك لأن اللغة العربية ليست كياناً جامداً لا حياة فيه، وإنما هي أشبه مايكون بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور، كما يكون عرضة في أوقات الضعف

والانكسار للوهن والمرض، وقد يصاب بالشيخوخة وقد يدخل في طور الاحتضار، أو حتى الموت ولكنها في كل الأحوال: سرائها وضرائها ومنشطها ومكرها لم تفقد هويتها، ولم تذو شخصيتها ويرجع ذلك لسببين:

أولاً: ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم، فهي وعاءه العظيم، وهي أداؤه التعبيري المعجز، وهي لغة العبادات والذكر، فارتباط الناس بالعربية لا يمثل مجرد ارتباط بلغة، ولكن على ذلك بأنه ارتباط بدين وقيم ومثل عليا. لقد منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورقيا ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، بما وهبها الله من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة، والأساليب العالية الرفيعة، فأصبحت بذلك محط جميع الأنظار، والافتباس منها مناط العز والفخر، وغدت اللغة العربية تتألق وتتباهى على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال وأنواع الكمال.

والثاني: طبيعتها الذاتية وكثرة مفرداتها التي تغذيها وتجدد نسيجها، مثل القياس والاشتقاق والنحت والافتراض والالتصاق والمجاز، مما ينفي عنها تهمة التحجر والعجز وضيق المدى.

ثانياً: وسائل الإعلام لها أشد الأثر في رفع اللغة العربية، أو تخريبها والإساءة إليها⁽³⁹⁾. تحظى اللغة في أي مجتمع بأهمية بالغة وذلك للدور الاجتماعي والحضاري الذي تلعبه، وتعتبر اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب... لأنها أداة الحاضر وصورة التاريخ، ومنها تقتبس الألوان الحضارية والاجتماعية الدالة على مجاري الأمور ومصائر الأقوام، والعربية ليست بدعاً من اللغات، وإنما هي أصدقها شاهداً على هذا الانعكاس، على الرغم من أن اللغة العربية تعدّ اللغة الأولى في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، غير أن واقعها على مستوى الممارسة الفعلية (من خلال الحوار والإنتاج الفكري)، ينقهر إلى آخر السلم لتأتي بعد اللغة اليونانية التي لا يتكلمها إلا حوالي 10 مليون نسمة⁽⁴⁰⁾، إن تراجع دور اللغة العربية لم يأت نتيجة لنقص في اللغة العربية لذاتها، إنما نتيجة لتراجع الدور الحضاري والعلمي للمجتمعات العربية، عدم الإسهام في

الإنتاج المعرفي والعلمي والفكري العالمي أدّى لتراجع دور اللغة العربية بين نظيراتها، اللغة العربية مرآة وماكان للغة أن تحتفظ بعافيتها ورونقها وكرامتها في مجتمع تصدّعت أركانه وتدهورت منظومة قيمه وأجهضت أحلامه واحدا تلو الآخر، بل واستبيحت كرامته في مجالات عدّة. ذلك أن اعوجاج اللسان هو علامة على اعوجاج الحال كما قال ابن حزم بحق، إذ حين عمّ الشعور بالهزيمة الحضارية، لم يكن مستغرباً أن تنتهك الكثير من مواطن العفة وركائز الهوية في المجتمع، ولم يكن مفاجئاً أن تسري الهزيمة في أوصال اللغة المستخدمة، فيهجرها بعضهم، وتتكسر على ألسنة آخرين، وتهان في مختلف منابر التعبير⁽⁴¹⁾.

إن اللغة هي مفتاح كل القيم والموروث الثقافي والفكري والتمسك العقائدي، فيها يكون الحفاظ على الهوية. ومن هنا برزت أهمية تنمية الإحساس القومي بضرورة اللغة العربية الفصحى الذي بدوره ينمي الإحساس بالانتماء. وما أدقّ قوله عبدالله النديم* "اللغة هي وطنك" وإضاعة اللغة تسليم للذات وطمس للهوية واستلاب للفكر.

الخاتمة:

اللغة كانت ومازالت أهمّ وسيلة اتصال نعبر بها عن أفكارنا ومعارفنا وثقافتنا وحضارتنا ولما كانت المعرفة هي أساس الحضارة فإنّ اللغة هي وسيلتها في التعبير وكلّ المجتمعات استخدمت مختلف وسائل الاتصال لإبراز شكلها الحضاري من رسومات ونقوش ومخطوطات ولكن تظل اللغة هي أهمّها. وتعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لكل ماتخضع له الظواهر الاجتماعية من نموّ وتطوّر ودراسة، فكل مجتمع لغته المعبّره عن ضميره وحاجاته وواقعه فتمايزت اللغات كما تمايزت المجتمعات. لما كان الإعلام الوسيلة الأهم والأكثر فعالية في تربية الجيل حيث يقضي الإنسان ساعات طويلة مستمعا ومشاهدا لما يعرض من برامج تلفزيونية، أو مصغياً إلى ما يقدم من برامج إذاعية، أو قارئاً لما يكتب في الصحف، بذلك أصبح الدور التوجيهي للإعلام أشدّ تأثيراً من الدور التوجيهي للمؤسسات التعليمية في بعض الأحيان، ممّا دفع الباحثين إلى القول " إن

الإعلام هو المنهج التربوي الأول والمدرسة هي المنهج التربوي الثاني " وإذا كان للإعلام هذا الأثر الكبير في الحياة اللغوية والثقافية وإن اللغة كما هو معروف تكتسب بالسماع والمحاكاة فإن أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية حين تلتزم باللغة العربية السليمة هي أحسن مصدر لتعليم اللغة والارتقاء بها وتطويرها، وفي الوقت ذاته يمكن أن تكون عنصراً من عناصر تأخر اللغة، إن اللغة هي مفتاح كل القيم والموروث الثقافي والفكري والتمسك العقائدي، فيها يكون الحفاظ على الهوية. ومن هنا برزت أهمية تنمية الإحساس القومي بضرورة اللغة العربية الفصحى الذي بدوره ينمي الإحساس بالانتماء. وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- 1- وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً وفاعلاً في تراجع استخدام اللغة العربية.
- 2- وسائل الإعلام لا تعي دور اللغة في عملية الفكر وفي الإبداع وفي مكانة الدول بين الأمم.
- 3- اللغة العربية قادرة على تبليغ الرسالة الإعلامية إلى الجمهور فهي لغة تقوم على نسق الفن الإعلامي الحديث.
- 4- وسائل الإعلام لها أشد الأثر في رفع اللغة العربية، أو تخريبها والإساءة إليها.
- 5- الوقوف في وجه كل الدعوات المقرضة للنيل منها والتشكيك في قدرتها وصلاحياتها والتمسك بها بأنها ستكون لغتنا عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقرؤة، وكل الوسائط الاتصالية الحديثة وعبر شبكة المعلومات الدولية الانترنت.
- 6- العلاقة بين الإعلام واللغة علاقة متلازمة، فالإعلام دون لغة رصينة ومرنة وجاذبة لا يستقيم أمره، واللغة دون إعلام متطور لا يمكنها أن تؤدي رسالتها في الانتشار وتعميم الذوق الراقي.

7- عدم التضحية باللغة والاستسلام للاستلاب التكنولوجي في محاولة طمس الهوية والتزييل، ويجب أن يكون تعلم اللغات الأخرى من منطلق التمازج الثقافي، ومواكبة المستجدات الطارئة في مجال العلوم والمعارف، والفنون التطبيقية، دون الإقلال من مكانة اللغة العربية الفصحى.

8- اللغة هي الأداة المثلى لغزو آفاق العالم الفسيحة الرحبة لتحقيق السيطرة الكاملة على الفكر والثقافات.

التوصيات:

1- العناية بتوطئة اللغة العربية والاهتمام بها وتطويرها والتمسك بها وهى عنوان الهوية والثقافة والتراث والحضارة العربية.

2- تخصيص قناة خاصة لتعليم اللغة العربية الفصحى عن بعد وتعريف الأجيال بكنوز اللغة من خلال المناشط الفنية المختلفة وإثراء هذه القناة بالقوالب الفنية الشيقة.

3- الاستفادة من وسائل الاتصال المختلفة في خلق ذائقة فنية لدى النشء من خلال تقديم برامج جاذبة باللغة العربية الفصحى تنمي لديهم الإحساس بكنوز اللغة وقيمتها.

4- سن قوانين للحدّ من استعمال اللغة العامية في وسائل الإعلام بمختلف أشكالها المسموعة منها والمرئية والمقروءة.

قائمة المراجع:

- (1) محمد عمارة، العربية وتحديات التكنولوجيا، على الرابط التالي:
<http://www.alarab.net/Article/502281>
- (2) صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض، مكتبة العبيكان 1421هـ، ص 203
- (3) محمد عبدالغني هلال، مهارات الاتصال باللغة العربية، ط3، القاهرة، مركز تطوير الأداء المهني والتنمية، 1999، ص6
- (4) <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%83%D8%B1>
- (5) أحمد بدر، الاتصال بال جماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، 1998، ص13
- (6) ملفين ل.ديفلير، ساندرا بول، روكيش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبدالرؤوف، ط3، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، عام 1999، ص 50
- (7) عبدالعزيز شرف، الإعلام ولغة الحضارة، القاهرة، سلسلة كتابك، 1977، ص8
- (8) ملفين ل.ديفلير، ساندرا بول، روكيش، نظريات وسائل الإعلام، مصدر سابق، ص 324-325
- (9) حسين فوزي النجار، الإعلام المعاصر، دار المعارف، سلسلة اقراء، 1984، ص 41
- (10) المرجع السابق ص 41
- (11) ملفين ل.ديفلير، ساندرا بول، روكيش، نظريات وسائل الإعلام، مصدر سابق، انظر صفحة 330-331-332
- (12) عبدالعزيز شرف، الإعلام ولغة الحضارة، مصدر سابق ص 10
- (13) المرجع السابق ص 32
- (14) حسين فوزي النجار، الإعلام المعاصر، مصدر سابق ص 41.

- (15) شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع "بدون تاريخ" ص 118
- (16) عبد العزيز شرف، الإعلام ولغة الحضارة، مصدر سابق، أنظر ص 35-36
- (17) شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد، مصدر سابق ص 118
- (18) المرجع السابق، ص 119
- (19) ملفين ل. ديفلير، ساندرا بول، روكيش، نظريات وسائل الإعلام، مصدر سابق، انظر صفحة 339-340
- (20) شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد، مصدر سابق ص 118
- (21) عبد العزيز شرف، الإعلام ولغة الحضارة، مصدر سابق، ص 22
- (22) حسين فوزي النجار، الإعلام المعاصر، مصدر سابق ص 41.
- (23) أحمد هويدي، عن اللغة والفكر والذات الحضارية، على الرابط التالي:
<http://digital.ahram.org.eg/Community.aspx?Serial=1496745>
- (24) سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية الواقع والمأمول، على الرابط التالي:
<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article4568>
- (25) عبد العزيز شرف، الإعلام ولغة الحضارة، مصدر سابق، أنظر ص 56
- (26) المرجع السابق ص 75
- (27) شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد، مصدر سابق ص 343
- (28) سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية الواقع والمأمول، مرجع سابق
- (29) المرجع السابق.
- (30) جان جبران كرم، التلفزيون والاطفال، بيروت، دار الجيل، ط1، 1988، ص 59
- (31) سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية الواقع والمأمول، مرجع سابق.
- (32) المرجع السابق.
- (33) زهير مشاركة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الرابع والسبعون الجزء الثالث، انظر ص 477

- (34) أحمد هويدى، مرجع سابق.
- (35) مها قنوت، اللغة العربية والإعلام واقعها وآفاق تطورها، مجلة مجمع اللغة العربية مرجع سابق، ص 699
- (36) فوزية العشماوي، الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، مجلة العربي، على الرابط التالي:
<http://www.arabphilosophers.com/Arabic/adiscourse/aeast-west/>
-
- (37) سورة الإسراء، الآية 88.
- (38) تركى صقر، اللغة العربية والإعلام المقروء، مجلة مجمع اللغة العربية، مرجع سابق ص 755
- (39) عبدالرحمن هاشم، أثر وسائل الإعلام في اللغة العربية، قراءة في كتاب الدكتور جابر قميحة على الرابط التالي:
<http://www.odabasham.net/show.php?sid=34467>
- (40) سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية الواقع والمأمول. مرجع سابق.
- (41) عبدالرحمن هاشم، أثر وسائل الإعلام في اللغة العربية، مرجع سابق.
- * عبدالله بن مصباح النديم 1842-1896 من كبار الأدباء والمفكرين ودعاة الإصلاح في مصر، توفي في الاستانة.